

التدوين التاريخي عند المسلمين: دراسة في الدوافع والتطور

Historical Recording among Muslims: A Study of Motives and Development

أحلام يوسف*

جامعة 8 ماي 45 قالمة (الجزائر)

youcef.ahlem@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/31 تاريخ القبول: 2024/11/16

ملخص: يعد التدوين التاريخي للأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمنجزات الحضارية المختلفة التي مر بها المجتمع الإسلامي في العصور الماضية من أهم ألوان التأليف عند المفكرين العرب والمسلمين، فقد انطلق المؤرخ المسلم في تدوين التاريخ الإسلامي بصفة عامة انطلاقاً من أحداث السيرة النبوية حيث مثل لهم هذا الحدث الكبير نقطة البداية، والدرب الذي ساروا عليه منذ أن عرفوا وابتكروا علم الاخباريين أو المؤرخين كما عرف فيما بعد، وكانت هذه النقطة هي البداية التي سارت عليها مصادر المسلمين الأولى في تدوين الكتابة التاريخية ثم توسعت مع مرور الوقت نطاق الكتابة التاريخية وتطورت مع ظهور الموسوعات وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا تحت عنوان: التدوين التاريخي عند المسلمين: دراسة في الدوافع والتطور

● كلمات مفتاحية: التدوين، التاريخي، المسلمين، الدوافع، التطور.

Abstract:

The historical recording of the political, social and economic events and the various civilizational achievements that the Islamic society went through in the past ages is considered one of the most important types of writing for Arab and Muslim thinkers. The beginning, and the path that they followed since they knew and invented the science of the Akhbaris or historians as it was known later, and this point was the beginning that the first Muslim sources followed in the codification of historical writing and then expanded with the passage of time the scope of historical writing and developed with the emergence of encyclopedias and on this basis came Our study is entitled: Historical Recording among Muslims: A Study of Motives and Development

Keywords:

blogging, historical, Muslims, motives, Development

● مقدمة:

لم يعرف العرب قبل الإسلام عملية منهجية للتأريخ، فكان عبارة عن قصص مبعثرة، تركزت إما على القصص الدينية (الوثنية، اليهودية، المسيحية) أو على الأنساب، بحكم أن القبيلة تشكل الوحدة السياسية-العسكرية. وقد غلب على هذه القصص قبل الإسلام طابع الثقافة الشفوية، فهي عبارة عن حكايات شفوية قبلية لا تحتوي على نظرة تاريخية ولا على منهج تاريخي، وبالتالي هي أقرب للحكايات الشعبية منها للمنهج التاريخي العلمي، حيث لم يعتمد العرب كثيراً قبل الإسلام على تدوين التاريخ، لكن دائماً كانوا يتذكرون تواريخهم عن طريق الرواية الشفوية ويفتخرون بما لأسلافهم من انتصارات عن طريق الشعر والنثر، وبذلك شكلت أشعارهم مصدراً إخبارياً للأحداث الكبرى باعتبارها تاريخاً غير مكتوب، وكذلك كانت القبائل العربية القديمة تفتخر دائماً بأنسابها وتحرص على تحفيظ أبنائها لهذا النسب ليتم تناقله مصحوباً بقصص البطولات والأجساد. وقد وفر لنا هذا معلومات وفيرة عن تاريخهم في تلك الفترة.

وبعد مجيء الإسلام بدأ الدور الحقيقي للتدوين التاريخي للعرب، هذا التدوين الذي بدأ بتدوين القرآن الكريم وجمع آياته بعد أن كان حفظه القرآن الكريم يحفظونه في صدورهم، كما كانت تتم كتابة الوحي على الجلود والرقاع وغير ذلك، ونظراً لأهمية الموضوع جاءت دراستنا لتسلط الضوء على البدايات الأولى للتدوين التاريخي عند المسلمين ودراسة الدوافع والأسباب الحقيقية التي جعلت المسلمين يفكرون في تدوين تاريخهم، وتتبع التطور التي مر به التدوين والكتابة التاريخية عند المسلمين.

وقد تمت معالجة الموضوع باتباع المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية وتحليلها واستقراءها كل ما أمكن للوصول إلى النتائج المرجوة وضمن المحاور التالية: المحور الأول: تحديد المصطلحات، المحور الثاني دوافع التدوين التاريخي عند المسلمين، المحور الثالث مراحل وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين.

أما الإشكالية الرئيسية للبحث فقد جاءت لدراسة ظاهرة التدوين التاريخي عند المسلمين، دراسة في الدوافع والأسباب الحقيقية لبداية اهتمام المسلمين بالكتابة والتدوين، مع تتبع التطور الذي مر به التدوين التاريخي عند المسلمين.

1. تحديد المصطلحات:

1.1 تعريف التاريخ:

أ. لغة : يقال من حيث اللغة تاريخ كل شيء أي " غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه"، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجلية، وقيل أن معناه التأخير، وقيل أنه اثبات الشيء، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت، وموضوعه الإنسان والزمان، وفي اللغة العربية التاريخ والتأخير والتورخ يعني الإعلام بالوقت¹.

¹ - الصولي، أدب الكتاب، تح محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، 1341هـ، ص 178. السيد محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تص محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، 1925م، ج3، ص 214

ولفظ تاريخ مصدر من أرخ يعني من حيث الاصطلاح الزمن والحقبة، قال السخاوي²: " التاريخ لغة الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب وورخته أي بينت وقت كتابته"، وقال الجوهري³: " التاريخ تعريف الوقت، والتورخ مثله، يقال أرخت وورخت وقيل اشتقاقه من الأرخ - بفتح الهمزة وكسرهما- وهو صغار الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث كما يحدث الولد"، وقد فرق الأصمعي⁴ بين اللغتين فقال: بنو تميم يقولون ورخت الكتابة تورخا، وقيس تقول أرخته تاريخا وهذا يؤكد كونه عربيا.

ب - اصطلاحا: عرف التاريخ في الاصطلاح تعريفات عدة، ومما قيل في تعريفه أنه التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال وربما يتوسع فيه أبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من الأمور الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها، كما عرفه البعض بأنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت، وعرف أيضا بأنه العلم بالأحداث والوقائع والأوضاع وأحوال البشر الكائنة في زمن الماضي، ومحوره الإنسان والزمان، وهو سجل للأحداث التي عاشها الإنسان منذ أن بدأ حياته على الأرض⁵.

1.2 التدوين:

اصطلح المتأخرون في مدلول مصطلح التدوين على معنى الكتابة فقط، غير أن مدلولها عند القدماء أوسع مما كان عليه، فهي تحمل عندهم معنى الجمع بغرض الإثبات والحفظ سواء كانت في الكتب أو في الصدور، فقد قيل في ذلك: (الشعر ديوان العرب) لأنهم أرادوا تخليد أخبارهم، وتعداد أيامهم، فلم يصلوا إلى ذلك إلا بالتدوين، ولا ديوان إلا بالشعر إذ كانوا أميين⁶. والملاحظ على معنى كلمة تدوين لغة أنه لا يتحقق إلا في الشيء الكثير وهو بذلك يغير معنى الكتابة لكونه أوسع وأشمل، فالتدوين مصدر الفعل الثلاثي دون، وتدوين الأخبار تسجيلها كتابة، والديوان كما جاء في كتب اللغة مجمع الصحف، والتدوين جمعه ديوان، وهو فارسي معرب، وجمعه دواوين ودواوين، فيكون التدوين ضم الصحائف إلى بعضها وجمع ما تفرق منها في كتاب كبير هو الديوان⁷.

2. دوافع التدوين التاريخي عند المسلمين :

لم يهتم المسلمون في أوائل عهدهم بالتدوين التاريخي وإنما كان جل اهتمامهم بالفتوح والغزوات حتى توطدت مكانة الإسلام وعلت مكانته، وحدث الاستقرار في بلاد المسلمين، اتجه المسلمون هنا إلى إثبات الأخبار وتسجيل الأحداث، وأقبلوا على جمع الأحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم، فقد عني المسلمون وخاصة الصحابة منهم بحفظ القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا أصبحت الحاجة ماسة لتدوين التاريخ، واتسع هذا العلم وتطور حتى أصبح من أهم العلوم عند العرب، وذلك للأسباب التالية⁸.

² - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1407هـ/1986م، ص 16

³ - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، 1990

⁴ - أجمد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، مطبعة الجامعة السورية، ط2، 1956م، ح 1، ص 15

⁵ - إبراهيم محمد علي إبراهيم محمد، التدوين التاريخي عند المسلمين (1. 150هـ / 768. 622م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة النيلين، 1442هـ/2020م، ص 14. 15

⁶ - أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره: نماذج من عصر الخلافة الراشدة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ط1، 1436هـ/2016م، ص 63

⁷ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ت)، ج13، ص 163. 166. محمد يسري سلامة، مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، تقديم بشار عواد معروف، دار الجبرتي ودار

الندوة للنشر، ط 1، القاهرة، 1431هـ، ص 62

⁸ - محمود محمد الخويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص 110

1- رغبة المسلمين في فهم ما جاء في القرآن الكريم والسنة من إشارات إلى الأمم الغابرة، ولهذا كان الاهتمام بالرواية التاريخية التي تتناول أخبار الأمم القديمة، وتاريخ الأنبياء السابقين، وأصول الجاهلية وحوادث الإسلام⁹، فقد لعب القرآن الكريم دوراً أساسياً في الدراسة والتدوين التاريخي عند العرب حيث حث في الكثير من آياته على دراسة تاريخ الأمم السابقة بقصد أخذ العبرة من تاريخها، وهذه فائدة أخرى غير فائدة العرض التاريخي حيث تتمثل في البحث والنظر في دور الفرد والمجتمع، وبالتالي فالإسلام اهتم اهتمام بالغ بالتاريخ، تاريخ الأنبياء والأمم الذي تكرر في سور قرآنية عديدة، وبأساليب في العرض متنوعة تبعث روح الاهتمام بالتاريخ معرفة وتدويناً¹⁰.

2- عناية المسلمين بجمع الأحاديث النبوية ليفسروا بها القرآن، وليسترشدوا بها في معرفة أحكام الدين حيث كان المسلمون مهتمين كثيراً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها تمثل منهلاً لمصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم الذي حث على الأخذ بما كقوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"¹¹، وقوله تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه ونهاكم عنه فانتهوا"¹²، وقد كان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة النبي والصحابة فجمعت فيما جمع وكانت أساس كتب السيرة والمغازي فيما بعد¹³، وبهذا كان القرآن الكريم قد فتح الباب على مصرعيه للدراسة التاريخية المرتبطة بالماضي والمرتبطة أيضاً بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان المسلمون الأوائل يتعلمون المغازي كما يتعلمون السورة من القرآن الكريم¹⁴.

3- وضع التقويم الهجري: وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام خلافته تقويمًا ثابتًا يتمثل في التقويم الهجري الذي يتخذ من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بداية له بحيث أصبح هذا التقويم فيما بعد عنصراً حيويًا في نمو الفكرة التاريخية، وتأريخ مختلف الحوادث التي تطرأ على حياة المسلمين¹⁵.

4- تأسيس ديوان العطاء: لقد قام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك بتأسيس ديوان العطاء والذي هو عبارة عن سجل للمحاربين وأهلهم حسب قبائلهم، وحسب الأسبقية في الإسلام، فكان هذا دافعاً للاهتمام بدراساتها، كما كان له دور في ظهور فرع تاريخي جديد لاحقاً وهو علم التراجم حسب الطبقات¹⁶.

5- الرغبة الكبيرة للخلفاء في الاطلاع على سياسة الملوك ليعرفوا كيف يسوسون شعوبهم خصوصاً بعد أن تعددت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في الدولة العربية وتشعبت شؤونها¹⁷، ومن أمثلة ذلك ما ذكره المسعودي¹⁸ أن معاوية كان بعد أن يفرغ من عمله: "يستمر إلى ثلث الليل يستمع إلى أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياساتها لرعيته، وغير ذلك من أخبار الأمم

⁹ - شوقي الجمل، علم التاريخ نشأته وتطوره ووضع بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د ت)، ص 28

¹⁰ - بوسنة بلال، الذاتية والموضوعية في الكتابة التاريخية الإسلامية المعاصرة - المشاكل والحلول -، مجلة الاحياء، م 20، ع 26، سبتمبر 2020، ص 558

¹¹ - سورة الأحزاب، آية 21

¹² - سورة الحشر، آية 7

¹³ - حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، (د ت)، ص 15

¹⁴ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تص جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1994، ج 3، ص 191

¹⁵ - أبو عبد الله إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، 1986، ج 1، ق 1، ص 9-10. طاهر سبع، دور مدرسة المدينة في الكتابة التاريخية من خلال آثار أبرز مؤرخيها حتى مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن ميلادي، رسالة مقدمة لبل درجة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 27

¹⁶ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح أبو الفضل إبراهيم، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ج 4، ص 209-210

¹⁷ - شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 29

¹⁸ - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 1425هـ/2005، ج 3، ص 32

السابقة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارهم، والحروب فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، فتمر بسمعه كل ليلة جملة من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات.

6- كان نظام الدولة الإسلامية وخاصة النظام المالي من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها لأن الخراج على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحا أو عنوة أو بعهد، فكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف في بعض البلدان تبعا لما حدث في أثناء فتحها فدعا هذا إلى بحث تاريخ الفتوح والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ¹⁹.

7- التنافس السياسي بين الفرق والتيارات الدينية مثل الخوارج والشيعة والقدريه وغيرهم الذي ساهم في تسجيل الأحداث التاريخية ومعرفتها لاستخدامها في تأييد وجهات نظرها أو في الدفاع عنها للرد على خصومها، وبالمقابل فإن العصبية القبلية ذات الطابع السياسي والقومي ومنافسات الأقاليم المختلفة كلها أدت إلى محاولة تسجيل الأحداث والمفاخر ووقائع التاريخ أو اختلافها، ومن هذا الجانب دخلت قصص الأيام وأخبار الفتوح والخلافات السياسية وتواريخ المدن والأمصار كما دخلت الأخبار والكتابات الشعبية²⁰.

8- **الحركة الشعبية:** وهي تسمية مشتقة من الشعوب، أي العودة إلى ماضي الشعوب والتفاخر بعصبيتها الجغرافية والتاريخية²¹، وهي ردة فعل عنيف من قبل الأعاجم وأهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام أو تظاهروا به، وكذلك الموالي والأحلاف تجاه العصبية العربية، وتمثل أثر الشعبية في علم الأخبار بالتدوين في أخبار الممالك القديمة ومآثرها من جهة، ثم التدوين في مثالب خصومهم من جهة أخرى²².

فالشعوبيون هم الذين يحقدون على العرب ولا يرون لهم فضلا على غيرهم، فيصغرون شأنهم، ويهاجمون رسالتهم ويصفونهم بأحق الأوصاف، وكانت وسيلتهم للوصول إلى غايتهم هو التشويه والدس على العرب بغمز تاريخهم وإبراز مقالبيهم وتقصيصها²³، ومن أمثلة أقوالهم " لكل أمة في ماضيها ميزة، فالرومان تفخر بعظم سلطانتها وكثرة مدائنها وعظيم مدنيته، والهند تفخر بحكمتها وطبها وكثرة عددها وأنهارها وثمارها، والصين تزهى بصناعاتها وفنونها الجميلة وما إلى ذلك، على حين لا يوجد للعرب قبل الإسلام شيء يمتاز به، جذب في الأرض وبدواة في العيش، كانوا في جاهليتهم يقتلون أولادهم من الفقر ولا يستقر لهم حال من الغزو والسلب، ويفعلون المكرمة الصغيرة كإطعام جائع، وإغاثة ملهوف فيملؤون بها الدنيا شعرا ونثرا ويتباهون بذلك فخرا"²⁴، فكانت نتيجة ذلك ظهور كثير من المؤرخين والأدباء العرب يتصدون إلى هذه الحملة الشرسة على الجنس العربي ويردون عليها معتمدين في ذلك على تاريخ الشعوب وحضارتها وشؤونها الاجتماعية والثقافية ومن أهم من تصدى لذلك أبو عمرو الجاحظ²⁵.

9- **ظهور الورق:** استعمل الناس في كتابتهم قبل ظهور صناعة الورق الجلد أو ورق البردي أو ألواح الطين، وبالرغم من أن المصريين هم أول من قاموا بصناعة الورق من النباتات في التاريخ الإنساني، إلا أن صناعته بطريقة علمية لم تتحقق إلا على يد " تساي لون عام 105م

19 - حسين نصار، المرجع السابق، ص 16

20 - إبراهيم محمد علي إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 61.

21 - نجيب بن خيرة، التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطورات خلال القرون الثلاثة الأولى للهِجرة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م 16، ع 4، 2001، ص 150

22 - أحمد خليل الشال، المرجع السابق، ص 49

23 - نجيب بن خيرة، التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطورات خلال القرون الثلاثة الأولى للهِجرة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م 16، ع 4، 2001، ص 150

24 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج 1، ص 61

25 - نجيب بن خيرة، المرجع السابق، ص 151

مسؤول البلاد الامبراطوري في الصين الذي قام بتصميم الورق من خلال استخدام مواد عدة، وظل الصينيون يطورون صناعة الورق وفي نفس الوقت محافظين على سر تصنيعه، واستمر الوضع على هذا الحال حتى وصلت صناعة الورق إلى مستوطنة تورفون شمال الصين حوالي سنة 400 م حيث انتقلت منها إلى آسيا الوسطى عن طريق القوافل التجارية الآشورية والفارسية المارة عبر طريق الحرير، وبحكم التقارب الثقافي والجغرافي انتقل الورق بعد فترة من الصين إلى كوريا ومنها إلى اليابان ولكن كان هذا في القرن السابع الميلادي وفي حدود سنة 610م²⁶.

ومن الصين انتقلت هذه الصناعة إلى العرب عندما وقع صناع صينيون في الأسر بسقوط سمرقند أثناء الفتح الإسلامي في يد العرب عام 705 / 712م، ومن سمرقند نقل المسلمون صناعة الورق إلى بغداد حيث أنشئت أول ورشة لصناعة الورق في بغداد عام 178هـ/ 794م على يد الفضل بن يحيى البرمكي والي الخليفة هارون الرشيد على خراسان، وقد ساهمت هذه الصناعة بشكل كبير على نقل التدوين الفكري ومنه التاريخي من الذاكرة إلى الشكل المكتوب²⁷.

3. مراحل وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين: إن التطور الهام في التدوين التاريخي عند العرب يتمثل في النظرة للتاريخ بأنه علم له أصوله في البحث والكتابة، وقد مر التدوين التاريخي بالمراحل التالية:

1.3 المرحلة الأولى (مرحلة التدوين الأولى):

ويتميز التدوين فيها بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف من استخدام التدوين وبطابع العفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للدوافع العامة، وقد بدأت عملية التدوين نقلا عن الشفاه، وعن غيرها من السجلات كالثائق والكتب مبكرة جدا²⁸. امتدت هذه المرحلة إلى غاية مطلع القرن الثاني للهجرة، وكان اهتمام التدوين فيها متوجها بصورة خاصة إلى مواضيع محددة من السيرة النبوية، ومن أعلام هذه المرحلة عبد الله بن عباس (ت سنة 78هـ/ 698م) ثم ابان بن عفان (ت 95هـ أو سنة 105هـ / 714م أو سنة 724م)، وعروة بن الزبير (ت سنة 94هـ/ 104م) اللذان روىا جانبا من السيرة النبوية سميت بالمغازي لأنها اهتمت بهذا الجانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم²⁹.

ثم تلاهما شرحبيل بن حسنة (ت 123هـ/ 741م)، وابن شهاب الزهري (ت 124هـ/ 742م) اللذان طورا فكرة السيرة النبوية أساسا لكتابة تاريخ عالمي من خلال سلسلة الأنبياء وخاتم النبيين، أي جعلها أساسا لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية الذي يبدأ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم³⁰ :

2.3 المرحلة الثانية: مرحلة التدوين التاريخي الجزئي

²⁶ - إيمان عبد الله التهامي، تاريخ وتطور صناعة الورق والطباعة في مصر، مقال منشور بمجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، م 13، ع 2، يوليو 2020، ص 3173

²⁷ - إيمان عبد الله التهامي، المرجع السابق، ص 3173

²⁸ - شاكور مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجالة في الإسلام، دار العلم للملايين، ط 3، 1983، بيروت، ج 1، ص 93

²⁹ - المرجع نفسه، ص 94

³⁰ - المرجع نفسه، ص 94

وهي المرحلة التي قامت بها الطبقة الوسطى، التي كانت بمثابة الواسطة بين طبقة الصحابة والطبقة التي تليها، وهي طبقة الجمع والتصنيف والرواة المعنيين بالسير والمغازي وهي طبقة الأصول لأن معظم مرويات السير والمغازي عن طريق هذه الطبقة إما بالرواية والنقل أو بصياغة الخبر بلفظهم وترتيبهم، ويعد هذا مستهل كتابة التاريخ في الإسلام وبداية التمييز بين رواية الحديث ورواية التواريخ والأخبار³¹.

كما ظهر خلال هذه المرحلة اهتمام كبير بالمعارف التاريخية لدى الخلفاء الأمويين خاصة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، وطلبوا تسجيل ذلك لهم من أفواه الناس، ولكنها كانت تسجيلات لأحداث تاريخية متفرقة غير متصل بعضها ببعض، كما أنها خضعت لاهتمامات من يهتم بها، وما ميز التدوين في هذه المرحلة أنه كان من المعارف المتفرقة حيث لم يكن شامل لكل الأخبار لكافة المواضيع³².

ومن أعلام هذه المرحلة نذكر: ابان بن الخليفة عثمان بن عفان الذي قيل فيه أنه أول من دون مجموعة خاصة بالمغازي التي كانت صحفا تضمنت أحاديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم³³، وعروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي الذي ساهم بشكل كبير في إرساء قواعد الدراسة والتدوين التاريخي خاصة فيما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه بشكل خاص كما كتب الرسائل حول أحداث الإسلام بحيث كان مرجعا للخلفاء والعلماء في كثير من وقائع السيرة وتاريخ صدر الإسلام، كما أخذ عنه أيضا أصحاب الكتب الأولية في التاريخ الإسلامي³⁴.

وشرحيل بن سعد الذي قيل فيه أنه لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبديين مثله، ولكنه لم يكن من الثقة مثلما كان ابان بن عثمان وعروة بن الزبير³⁵.

3.3 المرحلة الثالثة أو مرحلة تدوين المغازي

وفي هذه المرحلة بدأ التدوين أكثر لحداث صدر الإسلام، بعد أن زالت موانع التدوين ووضع اطار محدد للمغازي على يد ابن شهاب الزهري الذي تميز على أقرانه بتجميع مختلف الأخبار المتعلقة بالسيرة وغيرها، ومن أعلام هذه المرحلة برز عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (ت بين سنتي 130-135هـ / 748-753م) الذي ابتكر فكرة الترتيب الزمني السنوي للأحداث حيث جمع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبة ترتيبا سنويا، وهذا ما يجعله من أوائل واضعي المنهج الحولي في التاريخ الإسلامي منذ مطلع القرن الثاني الهجري³⁶، كما عني بجانب الأخبار بالوثائق المدونة كالمسألة التي كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حمير، والوثيقة التي أعطاها النبي لجدّه الأكبر عمر بن حزم ليأخذها معه حين بعثه إلى أهالي نجران يفقههم في الدين³⁷.

كما برز عاصم بن عمر الذي كان متبحرا في المغازي والسيرة النبوية، وقد اعتمد عليه ابن إسحاق والواقدي، ألف كتاب في السيرة النبوية والمغازي وقد قيل فيه هو "صاحب السير والمغازي"، لكنه لم يقتصر في كتابته على غزوات النبي فقط بل اعتنى أيضا بطفولته والفترة المكية

31 - إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 82

32 - إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 83. شاعر مصطفى، المرجع السابق، ص 94

33 - إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 94.

34 - طاهر سبع، المرجع السابق، ص 174-176. إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 84-85

35 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د ت)، ج 5، ص 310

36 - إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 90-92

37 - شاعر مصطفى، المرجع السابق، ص 156

من حياته بصفة عامة، كما توضح بعض الروايات اهتمامه بتاريخ الخلفاء الراشدين، وقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ليحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل³⁸.

ومن أعلام هذه المرحلة كذلك أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124هـ/742م) الذي لم تقتصر دراساته التاريخية على المغازي فقط بل شملت الأنساب حيث عرف أنه أول من عني بتدوينها، فهو مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة، وتاريخ صدر الإسلام حيث كتب عن فترة الخلافة الراشدة إلى غاية انتقال الخلافة إلى بني أمية³⁹.

4.3 المرحلة الرابعة أو مرحلة المدونات التاريخية المتكاملة

وهي مرحلة المدونات التاريخية المتكاملة، وظهور الكتب التاريخية المتنوعة التي تناولت السيرة النبوية وفترة الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية، وعليه فهي مرحلة تطور كبير في مناهج ومواد التدوين التاريخي⁴⁰.

ومن الأعلام في هذه المرحلة: أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي المدني (ت سنة 140هـ/758م) الذي يعد من المتبحرين المتخصصين في المغازي حيث كان جل اهتمامه متجها إلى مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين⁴¹، وأيضا أبو الحكم عوانة بن الحكم بن عوانة الكلبي الكوفي (ت سنة 147هـ/765م) الذي كان من علماء الكوفة رواية للأخبار والآثار، عالما بآنساب العرب وشعرهم القديم وأخبارهم، عرف عنه بأنه كان مؤرخا للعهد الأموي⁴²، ومن أهم آثاره كتابه الأول بعنوان كتاب التاريخ الذي يظهر فيها التاريخ كعلم لأول مرة بعنوان واضح، وكتابه الثاني سيرة الخليفة معاوية وبني أمية، وهو من أوائل الكتب التي تخصصت لأسرة حاكمة في الإسلام أو لخليفة، وبهذا الكتاب يبتدئ سلسلة التراجم الموسعة وتاريخ الدول بعد السيرة النبوية وعهد الراشدين⁴³.

وبهذا يعتبر عوانة بن الحكم من الرواد الذين رتبوا كتبهم على الدول، فمحول اهتماماته كانت الأمة لا القبيلة ويعد من الاخباريين الذين اعتنوا بشؤون العراق كذلك، كما تدل رواياته على معرفة داخلية بشؤون الأمويين غير أنه لم يتعصب للأمويين في مجالسه الخاصة حيث كان يورد أحيانا الروايات العراقية والمدنية التي تعكس آراء جماعات مضادة للأمويين وبهذا لم يكن متحيزا لجهة خاصة⁴⁴.

ومن اشتهر كذلك في هذه المرحلة أبو عروة معمر بن راشد بن عمرو الأزدي (ت 154هـ/771م) كان مؤرخا ومفسرا ومحدثا مرموق المكانة، ترجع كل أخباره إلى الزهري، صنف كتابا في المغازي حيث نقل فيه معلوماته عن الزهري وعن أهل الكتاب غير أنه لم يرتب مادته ترتيبا زمنيا كما فعل معاصره موسى بن عقبة بل رتبه ترتيبا موضوعيا حيث يعتبر من أوائل المحدثين الذين رتبوا الأحاديث في أبواب ومواضيع⁴⁵.

³⁸ - المرجع نفسه، ص 156. طاهر سبيع، المرجع السابق، ص 122

³⁹ - السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، الاسكندرية، ص 60

⁴⁰ - محمد يسري سلامة، المرجع السابق، ص 89- 91

⁴¹ - إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 99

⁴² - فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي: التدوين التاريخي، ترجمة محمود فهمي حجازي، نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ/1991م، ص 127

⁴³ - فؤاد سركين، المرجع السابق، ص 127. شاكور مصطفى، المرجع السابق، ص 179- 180

⁴⁴ - حسين نصار، المرجع السابق، ص 226- 227. شاكور مصطفى، المرجع السابق، ص 179- 180. إبراهيم محمد علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 102

⁴⁵ - فؤاد سركين، المرجع السابق، ص 92. شاكور مصطفى، المرجع السابق، ص 160

أما أشهر مؤرخي هذه المرحلة نذكر أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطليبي المدني (ت سنة 151هـ / 769م)، اشتغل منذ حدثته بالرواية حيث كان يجمع الأحاديث خاصة ما اتصل منها بالمغازي حتى قيل أنه أول من جمعها، كما روى عن أهل الكتاب ومن القصص الشعبي العربي خاصة عن اليمن، من أشهر كتبه سيرة ابن إسحاق الذي يعد من أقدم ما وصل إلينا كاملاً⁴⁶.

● خاتمة: وما تقدم عرضه يمكن استخلاص النتائج التالية

- أن علم التاريخ من العلوم النقلية التي اعتمدت في البداية على الرواية، وله صلة وثيقة ببقية العلوم النقلية الأخرى عند المسلمين خاصة علم الحديث النبوي الشريف الذي يلتقي معه في المنهج من حيث تمحيص الخبر ونقده، والتحقق من صحته، وإن كان لكل واحد منهما موضوعه الخاص.
- أن عملية التدوين الفعلي للتاريخ عند المسلمين بدأت في صدر الإسلام مثل بقية العلوم النقلية الأخرى، بالرغم من اهتمام المسلمين بتاريخهم حيث كانوا يتذكرون تواريخهم عن طريق الرواية الشفوية ويفتخرون بما لأسلافهم من انتصارات عن طريق الشعر والنثر.
- أن دوافع وأسباب اهتمام المسلمين بالتدوين التاريخي متنوعة ومختلفة، والأهم هو الدافع الديني حيث لعب القرآن الكريم دوراً أساسياً في الدراسة والتدوين التاريخي عند العرب، فقد حث في الكثير من آياته على دراسة تاريخ الأمم السابقة بقصد أخذ العبرة من تاريخها.
- كما أن المستجدات التي طرأت على مختلف جوانب الحياة العامة عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة من حركة الفتوحات الإسلامية وما تبعها من توطن في الأمصار و بروز العصبية القبلية المحلية إلى تنظيم للإدارة وإنشاء للدواوين وتوزيع للعطاء بحسب الأنساب السابقة إلى استحداث المسلمين لتقويم ثابت لتعاقب الحوادث، يبدأ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم قد ساعدت جميعاً في نشأة علم التاريخ، وفي خلق الأفق التاريخي للفكر العربي الإسلامي.
- أن تطور علم التاريخ عند المسلمين قد مر بمراحل من مرحلة القصص والأساطير الشعبية التي كانت سائدة قبل الإسلام إلى مرحلة تأريخ السيرة والمغازي التي تأثرت نوعاً ما بالمرحلة السابقة إلى مرحلة استقرار الدولة الإسلامية ونشوء الدواوين التي أصبحت مصادر تاريخية يستقي منها المؤرخون مادتهم الخبرية من المراسلات الرسمية والعهود والإحصاءات ثم مرحلة الترجمة عن اللغات الأجنبية حيث برز عدد كبير من المؤرخين اشتغلوا بتاريخ الدول وتواريخ المدن والحوضر، غير أن التطور الهام في التدوين التاريخي عند العرب يتمثل في النظرة للتاريخ على أنه علم له أصوله في البحث والكتابة.

● الهوامش:

المصادر:

- 1- الصولي، أدب الكتاب، تح محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، 1341هـ.
- 2- السيد محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تص محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، 1925م، ج3.
- 3- السخاوي، الإعلان بالتوخيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1407هـ/1986م.

- 4- الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، 1990.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ت)، ج 13.
- 6- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تص جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1994، ج 3.
- 7- أبو عبد الله إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، 1986، ج 1، ق 1،
- 8- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح أبو الفضل إبراهيم، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ج 4.
- 9- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 1425هـ/2005، ج 3.
- 10- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د ت)، ج 5.

المراجع:

- 1- طاهر سبع، دور مدرسة المدينة في الكتابة التاريخية من خلال آثار أبرز مؤرخيها حتى مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن ميلادي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001.
- 2- محمد يسري سلامة، مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، تقديم بشار عواد معروف، دار الجبرتي ودار الندوة للنشر، ط 1، القاهرة، 1431هـ .
- 3- أجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، مطبعة الجامعة السورية، ط 2، 1956م، ح 1.
- 4- إبراهيم محمد علي إبراهيم محمد، التدوين التاريخي عند المسلمين (1- 150هـ/ 622- 768م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة النيلين، 1442هـ/2020م.
- 5- أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره: نماذج من عصر الخلافة الراشدة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ط 1، 1436هـ/2016م.
- 6- محمود محمد الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.
- 7- شوقي الجمل، علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د ت).
- 8- بوسنة بلال، الذاتية والموضوعية في الكتابة التاريخية الإسلامية المعاصرة - المشاكل والحلول - ، مجلة الأحياء، م 20، ع 26، سبتمبر 2020.
- 9- حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، (د ت).
- 10- نجيب بن خيرة، التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطورات خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م 16، ع 4، 2001.
- 11- نجيب بن خيرة، التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطورات خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م 16، ع 4، 2001.
- 12- أحمد أمين ، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج 1.
- 13- إيمان عبد الله التهامي، تاريخ وتطور صناعة الورق والطباعة في مصر، مقال منشور بمجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، م 13، ع 2، يوليو 2020.
- 14- شاعر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، ط 3، 1983، بيروت ، ج 1.
- 15- السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، الإسكندرية.

16- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: التدوين التاريخي، ترجمة محمود فهمي حجازي، نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1411هـ/1991م.